محاضرات ومناظرات

حياتنا الاجتماعية على ضوء فلسفة العهد الجديد واتجاهاته

ألقى الأستاذ محمد حسن العشماوى وزير المعارف الأسبق بقاعة « بورت » بالجامعة الأمريكية يوم الجمعة الأسبق محاضرة فى هذا الموضوع استغرقت ساعة ونصف ساعة يمكن أن نلخصها فيما يأتى : —

دعتنى الجامعة الأمريكية لأحدثكم عن المشكلات الاجتماعية التى تتغلغل فى حياتنا ، فأبادر قبل أن أسترسل فى الحديث إلى أن أعلن أننى لست فى هذا الميدان إلا هاويا ولست فيه من المتخصصين . ولقد كنت وقفت من فوق هذا المنبر منذ عامين أبشر الناس بقرب انبلاج فجر جديد يشرق علينا بأوضاع اجتماعية سليمة ، وكان الناس يعجبون لهذا التفاؤل منى لأن الظلام الحالك كان يشتملهم ويحيط بهم من كل جانب ، فكنت أجيبهم بأن هذه الحلوكة الشديدة ، وهذا الظلام الشامل هما مصدر تفاؤلى ، فإن الفجر الصادق يجىء عادة على أثر هذه الحلوكة الشديدة !

وإذا رجعتم إلى الوراء قليلا ، إلى ماقبل هذا الانقلاب المبارك رأيتم عجبا ! ورأيتم صورة شائهة ممسوخة للمجتمع فى مصر !

كانت هناك أمة وكان هناك دستور وحكومة وبرلمان ومؤسسات صحية وثقافية واجتماعية وما إلى ذلك .. كان هذا فى ظاهر الأمور ، ولكن الباحث المتغلغل لا يجد وراء هذه الظواهر شيئا ، بل يجد الفساد والجهل والفقر والمرض والظلم الاجتماعى الشديد

يجد نسبة المرضى إلى الأصحاء فى أريافنا هى ٩٦ ٪ ويجد نصيب كل ربع خمسة أمراض ! ويجد العناية تبذل لمواشى هؤلاء الفلاحين أكثر مما تبذل لهؤلاء الفلاحين أنفسهم ، لأنها تجلب لأصحاب الثروة مالا يجلب الفلاحون ! .. ويجد ٨٠ ٪ من أبناء الشعب لا يقرءون ولا يكتبون ، ويعيشون فى أمية تامة ، ليست أمية قراءة وكتابة فقط ، ولكنها أمية ثقافية وزراعية وصحية وخلقية ودينية ، تسودهم الخرافات وتطمس عقولهم طمسا . ويجد الأرض المزروعة هى هى ٢/٣ من مساحة البلاد ، والشعب يزيد ويتكاثر وهى لا تزيد ، حتى أصبح نصيب كل مصرى ربع فدان فقط ! .. ويجد الدولة وقد حالت دون تصنيع الريف ليظل مزرعة لكبار الملاك الذين يمتصون دماء المواطنين من الفلاحين ليكبوها ذهبا وخمرا على سيقان الغانيات فى أوربا

تلك بعض مظاهر حياتنا الاجتماعية إلى الأمس القريب ، ولولا يقيننا بأن محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين لدعونا الله أن يرسل فينا — من جديد — رسولا !! ولكننا اليوم ومنذ هذا الانقلاب المبارك بدأنا فى العلاج ، وعلينا أن نحقق للعلاج وسائل نجاحه ، وأن نساعد على استئصال شأفة المرض ، فما هى الدعائم التى يجب أن يقام عليها مجتمعنا الحديث بعد هذه الوثبة الجريئة الحميدة ؟

١ — يجب أن نجعل هدفنا دائما سواد الأمة ، فنضمن لكل فقير غذاء ، ولكل عار كساء ، ولكل مريض دواء ، فلا تظل نسبة وفيات الأطفال ٥٠ ٪ كما هى اليوم ، ولا يعيرنا الأجانب بقولتهم الشهيرة « إن النساء فى مصر يلدن للقبر ! »

٢ — يجب أن نيسر المرحلة الأولى من التعليم لجميع المصريين على السواء ، وألا تقتصر مدارسنا — كما هى اليوم — على ربع الذين هم فى سن التعليم ويظل ثلاثة أرباعهم هائمين فى الطرقات !

٣ — يجب أن يفرض على الشباب أن يؤدوا للدولة خدمة عامة من أى نوع قبل أن يلوا أية وظيفة ، وأن تحرم عليهم الوظيفة قبل أن يؤدوا هذه الخدمة كما يفعل الكثير من الدول

٤ — يجب أن تفرض التربية الدينية الروحية فرضاً من البيت إلى الجامعة ، فإن مرد كل ما نراه من فساد الضمائر والنفاق والخوف والذل إلى ضعف الثقة بالله وموت العاطفة الدينية القوية فى النفوس

٥ — يجب أن نعنى بالطفولة عناية كبيرة ممتازة ، وأن نعمل بكل الوسائل على تعليم الأمهات مبادئ التربية والتمريض وشيئاً من الثقافة العامة

٦ — يجب أن ننبه الناس إلى أن يلغوا الألقاب والفوارق فى قلوبهم ونفوسهم بعد أن ألغتها الدولة فى الرسميات والبروتوكول ، وأن نلقنهم أن الناس أمام القانون سواء وأنه لا فضل لواحد منهم على أخيه إلا بالعمل الصالح لخدمة الوطن

تعليمنا العام على ضوء فلسفة العهد الجديد واتجاهاته

وألقى الأستاذ إسماعيل القبانى وزير المعارف بنفس يوم الجمعة السابق محاضرة فى هذا الموضوع وهى إحدى حلقات هذه السلسلة التى نظمتها الجامعة الأمريكية ، استغرقت ساعة ونصف ساعة كذلك ، ويمكن أن نلخصها فيما يأتى : —

تحدث الأستاذ المحاضر فى أهداف العهد الحاضر ، وبين أن جماع هذه الأهداف هو الديمقراطية ، وتساءل عن معنى الديمقراطية ، وذكر أنها تنصرف أول ما تنصرف إلى المساواة وإلى الحرية ، واستطرد فقال : —

ولكن ما هى الحرية وقد أسيء فهمها كثيراً ؟ هل معناها أن الناس جميعا يكونون رؤساء لا مرءوسين ؟ أو يصيرون قادة لا مقودين ؟ إننا لو أخذنا بهذا المعنى لكانت الفوضى الشاملة : لأن كل عمل لا بد لنجاحه من القيادة الرشيدة والرياسة الحكيمة التى توفق بين حريات الجميع لتخرج بأعظم نتيجة . والفارق بين النظام الاستبدادى والنظام الديمقراطى أن الجماعة الديمقراطية تعمل لتحقيق أغراض مشتركة بين أفرادها جميعاً وتعمل عن اقتناع بما تعمل ، لا عن خوف ولا عن ضعف ، ولكن عن إيمان بالهدف الذى تسعى لتحقيقه

فإذا فهمنا أن أساس وجود الديمقراطية هو وجود أغراض مشتركة تسعى الجماعة لتحقيقها ، كان لا بد من وجود ميول ودوافع مشتركة بين الأمة جميعها ، ولا بد أن تتفاعل هذه الميول بين أفراد الأمة ، وأن تأخذ وتعطى بعضها من بعض ... فكيف نستطيع إيجاد هذه الميول والدوافع المشتركة التى تتحقق بها الحياة الديمقراطية الصحيحة ؟ لن نستطيع ذلك إلا بأن نتيح قدراً مشتركاً من التعليم لكل أفراد الأمة حتى تصير الأمة وحدة مشتركة ، قدراً يمكنهم من فهم بلادهم ، وفهم القيم والنظم التى تعيش فى ظلها بلادهم ، وفهم الأغراض التى تعمل على تحقيقها .. فما هو القدر المشترك الذى يجب أن نوفره لكافة الأفراد ؟ عندى أنه لا بد أولا مراعاة طاقة الدولة وإمكانياتها ، وأظنكم تعلمون أن مدارس المرحلة الأولى عندنا تضم مليونا وربع مليون من الأطفال ، وأن ثلاثة ملايين لا تتسع لهم هذه المدارس ، وأن عندنا فى التعليم الثانوى مائة وخمسين ألف طالب ، وفى الجامعات أربعين ألف طالب . وننفق على هؤلاء ٢٧ مليون جنيه كل عام !

فإذا أردنا أن نعلم ثلاثة الملايين من الأطفال الذين لم تتسع لهم المدارس بعد فسنحتاج إلى ثمانين أو تسعين مليونا من الجنيهات ، فكيف إذا أردنا أن نرفع سن المرحلة الأولى حتى نهاية التعليم الثانوى ؟ وكيف إذا أنشأنا الجامعات تباعا فى مختلف عواصم البلاد ؟

يجب أن ننظر طويلا فى طاقتنا وإمكانياتنا ، وألا نسرع بإنشاء المدارس الفجة المبتسرة الناقصة الاستعداد ، يجب ألا تكون سياستنا التعليمية من ساعة لساعة أو من يوم ليوم ؛ وإنما يجب أن ننظر إلى المستقبل البعيد ، وما عدا ذلك فهو خيال ليس المقصود بالتظاهر به إلا خداع الأمة ! وأجاهر بأننا لو استطعنا أن نحقق هذا القدر من التعليم لجميع المصريين فى عشر سنوات لكان نجاحا كبيراً

ويجب ألا يصرفنا هدف عن هدف ، فتتضرج جهودنا على تعميم المرحلة الأولى ولا يصرفنا عنها التعليم الثانوى مثلا ، فإن الطاقة لا تحمل الأمرين معا ، ويجب أن يكون التدرج فى نشر التعليم تدرجا هرميا قاعدته المرحلة الأولى وقمته مرحلة الجامعات ، كما فى إنجلترا مثلا حيث تجدون

فى المرحلة الأولى ٥ر٦ مليون، وفى مرحلة التعليم الثانوى نصف مليون أو أكثر قليلا، وفى الجامعات خمسين ألفا فقط!

وأحب أن أشير إلى أمرين خطيرين: أولهما أن المدرسة الثانوية ليست وظيفتها أن تعد للجامعة فقط؛ ولكنها تعد رجالا مكونين تكوينا اجتماعيا وروحيا وعلميا يجعلهم عنصرا صالحا للحياة. وثانيهما أن التعليم الجامعى يجب أن يراعى فيه الكيف دون الكم، والبلاد التى تقدم الكم على الكيف فى التعليم الجامعى إنما هى بلاد تنتحر! فلن يكون التعليم جامعيا حقا إلا بالتفاعل بين الأستاذ والطالب، ولن يكون هذا التفاعل إلا إذا كان عدد الطلاب بالقدر الذى يتمكن معه الأساتذة من هذا التفاعل، وإلا إذا كان الأساتذة أنفسهم معدين أحسن إعداد

ثقافتنا النسوية فى العهد الجديد

وفى يوم الاثنين الأسبق ألقت الدكتورة دورية شفيق محاضرة فى هذا الموضوع بدار نقابة الصحافة، وقد استغرقت ساعة كاملة، واستغرق المقبون عليها ساعتين! وحمى وطيس الجدال بين الطرفين حاسما بالغا.. ونلخص المحاضرة فيما يأتى: —

إننا اليوم فى مفترق الطرق، فى ثورة جاءت لتحقيق العدالة التامة بين المواطنين، وفى هذا العهد الأغر تريد المرأة أن تأخذ مكانتها الملحوظة، وتنال حقوقها الطبيعية فى المجتمع ...

وأرجو أن تسمحوا لى أن أرجع بكم قليلا إلى عهود الإسلام الأولى لنروا ما كانت عليه المرأة من شأن جليل الخطر، فأنتم تعلمون أن «نسيبة» أم عمارة وقفت فى غزوة «أحد» تقاتل دون النبى صلى الله عليه وسلم غير حافلة بالسهام المسددة إليها والتى جرحتها اثنى عشر جرحا وفى ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم «ما التفت يمينا أو شمالا يوم أحد إلا ورأيتها تقاتل دونى». وأنتم تعلمون أن ذات النطاقين «أسماء» عرضت نفسها للهلاك فى سبيل منجاة النبى وصاحبه من المشركين، وأن السيدة «عائشة» كانت الزوجة المثقفة التى تروى الكثير من الأحاديث، والتى نزل فيها الكثير من الآيات ..

كان هذا بعض شأن المرأة والدعوة الإسلامية فى مهدها، وكان هذا من عوامل نجاح هذه الدعوة. وليس ذلك بدعا فى الإسلام؛ فكل دعوة لا تنجح إلا إذا آزرتها المرأة المثقفة التى تعرف واجباتها وحقوقها.. وأعود بكم إلى المرأة المصرية اليوم وإنكم لأدرى الناس بما هى عليه من جهل مطبق بلغ ٩٠٪ من نساء مصر، وإنكم لتعلمون خطر هذا على كيان الأمة، فالأم هى التى تقرر مصير الأمة إذ تلقن الطفل فى سنواته الأولى وقبل دخوله المدرسة المبادئ التى ترسخ فى ذهنه، وهذه السنوات الأولى — كما يقرر علماء النفس — هى التى تحدد عقل الإنسان طوال حياته! وإنكم لتشاهدون كيف تعالج الأمهات فى مصر أبناءهن بالرق والتمائم! وإنكم لتشاهدون الأمهات اللائى يأبين أن يمس الماء أجسام أبنائهن العام كله خوف البرد والزكام! وإنكم لترون النسبة الهائلة فى وفيات الأطفال التى هى معرة لمصر بين الأمم!.. إن مرد ذلك كله إلى جهل الأمهات، والنبى الكريم يقول «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»!

إن المرأة المصرية اليوم تطالب برفع كابوس الجهالة عنها، تطالب بأن تكون كالرجل فى ذلك سواء بسواء، فتخفف من أعبائه، وتكون عاملا من عوامل ارتفاع المعيشة فى البلاد، وتطالب — كما يطالب العالم كله — بإبطال دور «الحريم» وتحريرها منها ...

إن المرأة قد كسبت ميادين جديدة منذ قاسم أمين، ولن تجلو عن هذه الميادين، بل لن تهدأ حتى تضيف إليها ميادين جديدة. ألم تروا إلى أفلاطون وهو يطالب بأن يكون نصف جيش الدولة من النساء؟ ألم تروا إلى النبى الكريم وهو يعتز برعاية أمه ويقول «إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد»؟

علي مولى صلاح